

الصبر في القرآن الكريم



الصبر من الفضائل الخلقية، وهو النفحة الروحية التي يعتصم بها المؤمن فتخفف من بأسائه وتدخل إلى قلبه السكينة والاطمئنان، وتكون بلسماً لجراحاته التي يتألم منها. "فالصابر يتلقى المكاره بالقبول ويراهها من عند الله، وعند التأمل نرى العناية الإلهية تسوق إلينا الشدائد لحكمة عالية، والجاهل هو الذي يضجر ويحزن ويكتئب، أمّا العاقل فيتلمس وجوه الخير فيما يبتليه الله به من الشدائد".

ولولا الصبر لانهارت نفس الإنسان من البلياء التي تنزل عليه، ولأصبح عاجزاً عن السير في ركب الحياة، وأصبح في حالة يكفر فيها بالقيم الأخلاقية فضلاً عن أنّه يصبح عنصر شرٍّ لا نفع منه.

ونستطيع أن نصف الصبر بحقّ أنّه الفاصل بين الحياة الروحية والمادية، ولهذا عني القرآن بالصبر ومدحه ورفع منزلته وأثنى على المتحلين به ثناء لا مزيد عليه، وذكره حوالي سبعين مرّة، ولم تذكر فضيلة أخرى بهذا المقدار، وهذا يدل على عظم أمره لأنّه أساس كثير من الفضائل، بل هو أمها لأنّه يربي ملكات الخير في النفس، فما من فضيلة إلا وهي محتاجة إليه:

فالشجاعة هي الصبر على مكاره الجهاد.

والعفاف هو الصبر على الشهوات.

والحلم هو الصبر على المثيرات.

والكتمان هو الصبر على إذاعة الأسرار.

لهذا كلاًّ أحبّ الله الصابرين، وأعلن في القرآن أنّهم ينالون مزيداً من الفضل والرحمة في الدنيا والآخرة.

(وَلَدَجَزَيْنَ الْكَذِبِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل/ 96).

والصابرون زيادة على هذا يؤيدون بمعونة الله، قال الله تعالى: (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال/ 46)، ويخولهم الله إمامة الناس إلى ما يحبه ويرضاه، وهذا ما حكاه الله عن بني إسرائيل: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (السجدة/ 24).

هذا هو الصبر الذي ذكره القرآن، فيه العزاء للقلوب المكلومة، وفيه الشفاء للنفوس الحزينة، والنجاح في هذه الحياة، انّه من الصفات الروحية التي تجلب كثيرا من الخير للمعذبين الذين يتلمسون الخلاص مما هم فيه.

